

خطبة جمعة

ميزان الشريعة في الحكم على الرجال

للشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

٢٠ / جمادى الآخرة / ١٤٣٣

النسخة الإلكترونية (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بالتنسيق مع موقع: <http://www.j-eman.com>

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب].
أَمَّا بَعْدُ..

فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.
أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ..

إِنَّ الْحُكْمَ عَلَى الرِّجَالِ وَأَحْوَاهُمْ وَأَقْوَاهُمْ يَنْتَقِرُ إِلَى مَوَازِينٍ تُنْصَبُ فَتُعْرَضُ عَلَيْهَا لِيَتَبَيَّنَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّوَابُ مِنَ الْخَطَأِ، وَالصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ، وَإِذَا غُيِّتَ تِلْكَ الْمَوَازِينُ لَمْ يَنْتَقِ فِي صُدُورِ النَّاسِ إِلَّا الْأَهْوَاءُ الَّتِي تَجْعَلُ الْحَقَّ يَوْمًا بَاطِلًا، وَتَجْعَلُ الْبَاطِلَ يَوْمًا آخَرَ حَقًّا، وَتَجْعَلُ الصَّوَابَ خَطَأً، وَتَجْعَلُ الْخَطَأَ صَوَابًا يَوْمًا آخَرَ، وَلَمَّا كَانَتِ الشَّرِيعَةُ الْغَرَاءُ مَبْنِيَّةً عَلَى الْكَمَالِ فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الدِّيَانَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَى مَوَازِينَ بَيَّنَّتْ تُعْرَضُ عَلَيْهَا أَقْوَالُ الرِّجَالِ وَأَحْوَاهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ فَيَتَمَيَّزُ بِهَا حَقُّهُمْ مِنْ بَاطِلِهِمْ، فَقَدْ نُصِبَ فِي الشَّرِيعَةِ مِيزَانَانِ عَظِيمَانِ:

أَحَدُهُمَا تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ الْبَاطِنِ.

وَالْآخَرُ تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ الظَّاهِرِ.

فَأَمَّا الْمِيزَانُ الَّذِي تُعْرَفُ بِهِ حَقَائِقُ الْبَاطِنِ: فَهُوَ مَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ مِمَّا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ؛ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

فَأَخْبَرَ ﷺ عَنِ الْحُكْمِ عَلَى الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ بِأَنَّ مَرَدَّهُ إِلَى النِّيَّاتِ، فَمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ صَحَّ بَاطِنُهُ، وَمَنْ فَسَدَتْ نِيَّتُهُ فَسَدَ بَاطِنُهُ.

وَأَمَّا الْمِيزَانُ الْمُتَعَلِّقُ بِالظَّاهِرِ: فَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ مَا بَيْنَ مِنْ أَقْوَالِ الرِّجَالِ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى صَاحِبِهِ، وَمَنْ وَافَقَ الشَّرِيعَةَ فَهُوَ مَقْبُولٌ مِنْ صَاحِبِهِ كَأَنَّهُ مَنْ كَانَ.

وَهَذَانِ الْمِيزَانُ الْعَظِيمَانِ -مِيزَانُ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ- لَا نَظِيرَ لَهُمَا فِي مَا سِوَى الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يُرَوِّا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ رِوَايَةِ الثَّقَاتِ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِيزَانِ الْبَاطِنِ، وَمِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمِيزَانِ الظَّاهِرِ، وَالسَّرُّ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمِيزَانَ إِذَا كَانَ بِأَكْثَرِ مِنْ يَدٍ يَحْتَلُّ فَإِذَا كَانَ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ اسْتَقَامَ وَزَنُهُ.

فَجَاءَ هَذَانِ الْحَدِيثَانِ مَرَوِيَّانِ مِنْ حَدِيثِ صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَنْبِيْهُمَا إِلَى إِقَامَةِ الْمِيزَانِ بِالْحُكْمِ عَلَى الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا حَمْدًا، وَالشُّكْرُ لَهُ مَتَوَالِيًا وَتَتَرِي، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِبْرَاهِيمًا وَصِدْقًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا وَحَقًّا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

أَمَّا بَعْدُ..

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّ الشَّرِيعَةَ الْغَرَاءَ لَمَّا وَضَعْتَ هَذَانِ الْمِيزَانِ لِلْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، بِالْعَفَا فِي إِعْفَاءِ النَّاسِ مِنْ عِبَاءِ الْحُكْمِ عَلَى الْأَقْوَالِ وَالْأَحْكَامِ وَالْأَفْعَالِ وَالرِّجَالِ، وَذَلِكَ بِوَكْلِ الْبَاطِنِ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَمَرَاعَاةِ الظَّاهِرِ فَقَطْ؛ ذَلِكَ أَنَّ عِلْمَ الْبَاطِنِ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِوَضْعِ هَذَا الْمِيزَانِ أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ وَادَّةٌ فَيَعْرِفَ حَقِيقَةَ بَاطِنِهِ، وَأَمَّا الظَّاهِرُ فَقَدْ جَعَلَ لِلنَّاسِ فِيهِ نَظْرًا، وَأَعْطَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ خُبْرًا وَخَبْرًا، فَجَعَلَ الْمِيزَانَ الْأَصْدَقَ الْأَوْفَى هُوَ عَرَضُ أَقْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ الَّتِي نَرَاهَا ظَاهِرًا عَلَى مِيزَانِ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» فَيُحْكَمُ عَلَى فِعْلِهِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ وَفَقَ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، وَرَبَّمَا تَكَلَّمَ اثْنَانِ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا حَقًّا، وَيُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا أَبْطَلَ الْبَاطِلَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ»: (وَالْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ يَتَكَلَّمُ بِهَا رَجُلَانِ يُرِيدُ بِهَا أَحَدُهُمَا أَحَقَّ الْحَقِّ، وَيُرِيدُ بِهَا الْآخَرُ مُحَضَّ الْبَاطِلَ، وَيَذُلُّ عَلَى كُلِّ سِيرَتِهِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ). انْتَهَى كَلَامُهُ.

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُبْرَأَ ذِمَّتُهُ فَلْيَجْعَلْ نِبْرَاسَ حُكْمِهِ عَلَى النَّاسِ مَا نَصَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مِيزَانٍ وَإِذَا غَمَضَ عَلَيْهِ عِلْمُهُ فَلْيَكِلْ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى الْعَالَمِينَ بِهِ، يَمْنُ وَهَبَهُمُ اللَّهُ ﷻ عِلْمًا بِشَرِيعَتِهِ فَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَقْدَرُ وَبِهِ أَعْلَمُ، وَلَكِنَّا الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ الرَّائِجَةِ الَّتِي تَمْدَحُ رَجُلًا يَوْمًا، وَتُسَبِّهُ يَوْمًا آخَرَ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ صِدْقَ الْأَقْوَالِ فَاعْبُرْ بِعَقْلِكَ فِي فِضَاءِ الْإِعْلَامِ، فَسَتَجِدُهُ يَوْمًا يَمْدَحُ شَخْصًا يَكِيلُ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الْمَدْحِ، وَتَجِدُهُ يَوْمًا آخَرَ يَكِيلُ لَهُ أَنْوَاعًا مِنَ الشَّتَائِمِ وَالسَّبَابِ، وَاعْتَبِرْ هَذَا فِي سَنَوَاتٍ خَالِيَاتٍ مَرَّتْ بِهَا ثَلَاثَةُ أَحْدَاثٍ تَكَالَفْتَ بِهَذَا، فَيَوْمًا كَانَ أُولَئِكَ عُلَمَاءُ مُجَدِّدُونَ، وَيَوْمًا آخَرَ كَانُوا حَقَمَى مُتَهَوِّكِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ الْمِيزَانَ مِيزَانُ أَهْوَجٍ أَعْوَجَ وَالْمِيزَانُ الْمُعْتَدُّ بِهِ هُوَ الْمِيزَانُ الشَّرْعِيُّ الْمَوْضُوعُ بِيَدِ الْعَارِفِينَ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْحُكَمَاءِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَلَا عِبْرَةَ بِهِ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَنَّ مِنَ السَّلَامَةِ لِلْعَبْدِ إِلَّا يُبَالِغَ فِي الْحُكْمِ عَلَى قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ وَلَا رَجُلٍ، وَإِنَّمَا يَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ مُسْتَوْفِقُهُ فَمُسْتَنْطِقُهُ عَمَّا قَالَ لَمَّا قَالَ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوتِنَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا. اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ فِتْنَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا. اللَّهُمَّ آمِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي دُورِهِمْ، وَأَصْلِحْ أَيْمَتَهُمْ وَوُلَاةَ أُمُورِهِمْ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْأَشْرَارِ وَكَيْدِ الْفُجَّارِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ، وَنَذْرًا بِكَ فِي نُحُورِهِمْ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ كُرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفْسَ هُمُومِ الْمُهْمُومِينَ، وَاقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ، وَأَطْلِقْ أَسْرَى الْمُسْلِمِينَ، وَاشْفِ مَرَضَنَا وَمَرَضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].